

صورة ثنائية الأنا والآخر في رواية "الفراشات والغيلان" لعز الدين جلاوي

أد، عبد الكريم بن محمد. جامعة محمد البشير الإبراهيمي- برج بوعرييج (الجزائر)

مخبر الدّراسات اللّغويّة والأدبيّة المعاصرة

abdelkrim.benmohamed@univ-bba.dz

معلومات المقال	الملخص (لا يتجاوز 10 أسطر)
تاريخ الإرسال: 2025/05/30 تاريخ القبول: 2025/06/17	يولي الروائيون العرب المحدثون كبير اهتمام برسم صورة علاقة الأنا بالآخر في أعمالهم الإبداعية، وذلك ضمن إطار ما يُعرف بالأدب المقارنة. حيث انخرط جمهور منهم في هذا الاتجاه المعرفي، فأنتجوا العديد من السّرديّات المصوّرة لهذه العلاقة كلّ حسب خلفياته المعرفيّة والفنيّة.
الكلمات المفتاحية: الأنا- الآخر- الصدام الحضاري-الوحي- سرديات.	يُعد الأديب الجزائري عز الدين جلاوي من بين أبرز الذين تناولوا هذا الموضوع المعبرّ عن حقيقة الصّراع والصّدام القائم بين الغرب المسيحيّ والشرق الإسلاميّ.
	سنحاول من خلال هذا المنجز العلميّ التّعرف على صورة " الأنا والآخر " في رواية (الفراشات والغيلان) لعز الدين جلاوي، حيث يعرض لنا الروائي مشاهد تعبر عن العلاقة المتوترة بين الغرب المسيحي والإسلام، وهي علاقة صراع دائم بينهما، تغذي هذا الصراع نظرة عدائيّة حاقدة متوارثة لدى الغرب عن الحروب الصّليبيّة ، لا يزال الغرب يحتفظ بها، متنكّرا لكلّ ما ينتهي إلى الإسلام وحضارته، وينصب له العدا.
Article info	Abstract : (not more than 10 Lines): Modern Arab novelists pay great attention to drawing a picture of the relationship between the self and the other in their artistic works within the framework of what is known as comparative literature. Many of them engaged in this cognitive trend and produced many narratives describing this relationship, each according to their cognitive and artistic backgrounds. The Algerian writer Ezzedine Glaouji is considered among the most prominent people who addressed this sensitive topic, which depicts the reality of the conflict and clash existing between the West and the East. Through this scientific paper, we will try to identify the image of the self and the other in the novel (Butterflies and Ghouls) by Izz al-Din Jalawji. The novelist exposes the tense relationship between the Christian West and Islam, a relationship of constant conflict between them. This conflict is based on the hostile view that the Christian West maintains of everything that belonged to Islam and its civilization.

مقدمة

تشهد الرواية المكتوبة باللغة العربية في الوطن العربي إقبالا قياسيا من لدن جمهور غير يسير من القراء، وليس بدعا من القول أنّ يكون حظّها من الطّبع والنّشر والمبيعات مرتفعا جدّا. ومن ثمّ فإنّ دورها في صناعة الوعي الحضاري والاجتماعي يتعاظم يوما بعد يوم. يعدّ هذا الدور من أهمّ المسؤوليات التي تجب على المثقف العربي المبدع أن يؤديها خدمةً لمجتمعه ووفاء لانتمائه وهويّته الحضارية وانتمائه التاريخي.

إنّ الفنّ الإبداعيّ ذخيرة الأمة وسلاحها الذي يفتك بجميع الأسلحة. وإنّما الأمم والمجتمعات تتفاوت رقيّاً ورفعةً، بما تملكه من طاقات إبداعية، ترفع رايّتها خفاقةً أمام الأمم.

يُنظر إلى الأديب الروائيّ الجزائريّ عزّ الدين جلاوي على أنّه واحد من أولئك القلّة القليلة من المبدعين المنافحين عن قضايا الأمة والوطن. إنّه القلّة التي آمنت بوجود أداء الأمانة الملقاة على عاتقها تجاه مجتمعاتها وتاريخها وحضارتها.

تتمثّل هذه الأمانة في الدّود عن هويّتها الثقافيّة، والإسهام في نشر الوعي الحضاريّ والوجوديّ بين جموع أفرادها، فهذا النّوع من الوعي هو المعوّل عليه في حياة الأمم والأوطان، والذي يحفظ لها وجودها ويصون لها كرامتها ويقويّ نفوذها.

تتموقع روايات عز الدين جلاوي في هذا الخندق الذي وصفناه، فالأديب عز الدين بحق ملتزم بقضايا مجتمعه التزاما حضاريا وأخلاقيا، وبقضايا الأمة العربية والإسلامية أيضا، لاسيما تلك القضايا التي ترتبط بالصدام الحضاري والتاريخي مع الغرب بكل أطيافه وألوانه المحرك الأول للصدام والموجه له حسب أغراضه ومطامعه ما ظهر منها وما بطن.

ثنائية الأنا والآخر والصدام الحضاري

يكسي موضوع ثنائية " الأنا والآخر" أهمية بالغة في الساحة النقدية العربية المعاصرة، إذ يمثل موضوعا رئيسا ما فتئت الرواية المعاصرة و منفذا ينفذ منه الروائي إلى عوالم الصراع الثقافي والحضاري بين الأمم ،صراع يصور جانبا من الحروب الخفية تحركها القوى العالمية الكبرى.

هذا التناول الفني مرحلة الحملة الاستدمارية الغربية على الشرق العربي والإسلامي وما تركته من أثار لا تُمحي ودمار مهول في البنى التحتية للمجتمعات الإسلامية شرقا وغربا جنوبا وشمالا، وما خلفته أيضا من تمزيق للشبكات الاجتماعية والمنظومة القيمية .

لقد بقيت هذه المجتمعات الغربية محافظة على موقفها تجاه كل ما ينتمي إلى حضارات الشرق خاصة الحضارة الإسلامية. إن هذا السلوك الغربي العدائي المتوحش أخذ يتلون في أشكال متعددة تختفي تارة، وتبرز تارة أخرى. إنه يمثل صراع الهويات وصدام الأنا بالآخر.

فما المقصود من المصطلح (الأنا) و(الآخر)؟

يُراد المفهوم المراد من مصطلح (الأنا) المنظومة القيمية الأصيلة، وتتضمنه من مبادئ سامية مطلقة تميز بها الدين الإسلامي عن بقية الشرائع والأديان والأنظمة الوضعية، وقد عبّرت عنها نسبياً التجارب التاريخية المنجزة فعلياً من طرف المجتمعات الإسلامية عبر عصورها المتتالية. ... فحين نستخدم مصطلح "الأنا" أو الذات، فإن المقصود منه تلك الصورة المثالية أو "نسق تصوّري تطوّره الكائنات البشرية، أفرادا كانت أم جماعات، وتبناه، وتنسبه إلى نفسها، ويتكوّن هذا النسق التّصوّري من مجموعة من الخصائص الفيزيقيّة والتّفسيّة والاجتماعيّة، زمن عناصر ثقافيّة القيم والأهداف والقدرات التي يعتقد الأفراد أو الجماعة أنّها تتّسم بها"¹ وهذا النسق هو الذي يهب الجماعة من النّاس الوحدة والانسجام والشعور بالانتماء إلى هويّة واحدة موحّدة بين أفراد هذه الجماعة، وتمنعهم من الذوبان والانصهار في هويات غريبة عنهم

هذا النسق أو النّظام الجامع يمكنه أن ينزل إلى واقع الأفراد والجماعات المعيشي ويصطبغ بصبغته بشكل نسبيّ، فتتشكّل من هذا التحوّل صورة نسبية لكلّ ما هو مطلق ومتعال، ومن ثمّ تتلوّن القيم المعيارية والمبادئ السّامية التي يتكوّن منها هذا النسق الفريد بلون التجارب الإنسانيّة حينئذ يتّخذ النسق الجامع الموحّد لنفسه خاصيّة فريدة تجري في بحر زمان الجماعة ومكان تواجدها الحضاريّ والتّاريخيّ.

1- فتحي أوب العينين. صورة الذات وصورة الآخر في الخطاب الروائي العربي، تحليل سوسيولوجي

لرواية (محاولة للخروج)، صورة الآخر العربي ناظرا ومنظورا إليه. مركز دراسات الوحدة

العربية. ط1. بيروت، لبنان: 1999 ص: 813

هذا الذي ذكرناه هو ما يعرف بملامح الهوية التي تمنح الأنا الأصالة والاستقلالية وتزوّد بمبررات حضوره وشهوده التاريخي والثقافي. إنّ من أبرز صفات هذه الملامح المميّزة رفضها للتغيير والتّبديل والتّحوّل إلى هويّات الأخرى، وإنّ حدث شيء من ذلك يطال الجماعة فسخ ومسح، فتنفصل عن ماضيها، وتنكر حاضرها فتصبح لغيرها تبعاً فالأنا المقصودة في هذا السياق، هي تلك الصّفات واللامح المكوّنة للهوية الإسلاميّة العربيّة، المعبر عنها بمجموع الأصول والقيّم العليا، التي تأسّس عليها المجتمع الإسلاميّ الأوّل في المدينة المنوّرة، ثمّ سرعان ما انفكّ الفاتحون الأوّلون، يبشّرون بها وينشرونها في شتّى بقاع الأرض بسلوكهم وأخلاقهم.

أمّا مفهوم مصطلح ((الآخر))، فنعني به المنظومة الفكرية والعقدية للغرب المسيحيّ الموروثة عن الثقافة الإغريقيّة المتعالية التي تحقّر من شأن ثقافة الآخر وإبداعاته، والإمبراطورية الرومانيّة التي قامت على فكرة الاستكبار في الأرض وقهر غيرها من الشّعوب. فتشمل هذه المنظومة مجموع مبادئ وقيّم وتصورات الغرب حول العالم، المجسّدة من طرف شعوبه على أرض الواقع، فصبغت تجربته التاريخيّة صبغةً خاصّة، لاسيّما ما تعلّق منها في علاقته مع الشّعوب الإسلاميّة مع مرّ العصور بفعل الصّراع أو التّصادم الحضاريّ والقيميّ الذي كان ولا يزال قائماً بينهما.

بدأت صورة الغرب ((الآخر)) تتكوّن في مخيلة الشّعوب الإسلاميّة وترسّخ ذهن المسلّم المثقّف الواعي في خلفياته المعرفيّة، انطلاقاً من الفتوحات الإسلاميّة الأولى ثمّ أخذت هذه الصّورة تتشكّل في أبعادها الاجتماعيّة والإيديولوجيّة مع ظهور الحملات الصليبيّة التي قام بها الغرب والشرق العربيّ الإسلامي، وما تلاها من حملات

استدمار حديثة ومعاصرة، متخذة أشكالاً عديدة واستراتيجيات متباينة، لكنها تتلاقى في الأهداف والغايات.

يمكن أن نلاحظ ملامح صورة الآخر انطلاقاً مما تشهده الساحة العالمية من إرهاب سافر وظالم تقوده وتنقذه القوى الاستدمارية المعاصرة ضدّ ضعاف الشعوب برعاية صهيوأمريكية، وما يعانيه شعب غزة المسلم من إبادة جماعية على يديها، على مرأى ومسمع من العالم كله خير مثال على وحشية الغرب وحقده الدفين على كلّ ما له علاقة بالإسلام وحضارته.

فالفوارق والملامح المميزة بين الأنا والآخر (الإسلام / الغرب المسيحي) كثيرة جداً تُبرز مدى الاختلاف الفكري والتباين الثقافي بينهما، "فالأنا والآخر (...)" ما هما إلا مجموعة قيم خاصة بثقافة معينة، فعندما تتجه نظرة الأنا إلى القيم جاء بها الإسلام فإنّ هذه النظرة، إنّما تنطلق من الخصوصية الإسلامية، وهذه الخصوصية لها علاقة بالاتجاه الحضاري الذي تستند إليه هذه الثقافة¹ التي عُرفت بالتسامح وحب الخير

ونشر العدل والمساواة بين شعوب الأرض جميعاً دون تمييز بينهم على أساس عرقي أو ديني أو طائفي، ومن ثمّ فهذه الثقافة الإنسانية السامية، تمقت كلّ المقت سلبية الثقافة الغرب المسيحية القائمة على الظلم والاحتقار والنظرة الدونية للآخر وامتهانه.

1- سوسن البياتي. النهضة الفكرية وأثرها في الصراع مع الآخر. مجلة آداب الفراهيدي، العدد 3. (عدد خاص) جامعة تكريت، العراق: حزيران 2010. ص 71.

لا نريد من هذا البحث المتواضع أن ينخرط في مناقشة قضية ثنائية الأنا والآخر من منطلق إيديولوجي صرف، إنّما نرمي إلى أن نتناول بالتحليل للوقائع والأحداث التي تسردها رواية (الفراشات والغيلان)، وهي أحداث ووقائع شهدها العالم بأجمعه وتناقلتها وسائل الإعلام العالمية الشرقية منها والغربية. ومن نحاول أن نتجنب الوقوع في مطبات المتخيل والتاريخي، لأنّ غايتنا الطرح الموضوعي للعلاقة المتوترة واقعياً بين ((الأنا)) المتجسّدة في أفراد الشعب البوسني المسلم و ((الآخر)) المتجسّد في وحشية جنود الصّرب المسيحي، ضمن علاقة عدائية متوارثة في بعدها الحضاري والثقافي.

فضاءات الرواية المركزية

تقع الرواية في إحدى وثمانين صفحة تتضمّن إهداءً وفاتحةً وتسعة مشاهد، تصوّر لنا الحرب المتوحّشة والهمجية التي شتّها الصّرب على مسلمي البوسنة من خلال هجومهم البربري المتوحّش على قرية بوسنية مسلمة.

هذه الحرب التي تندرج ضمن الإبادة الجماعية والحروب الصليبية الجديدة وما يتبعها من عمليات القتل والإبادة و التّهجير القسري والتّشريد للسّكان الأصليين.

تتمركز هذه أحداث الرواية حول شخصيّة محوريّة وهي شخصيّة الطّفل (محمّد) الذي يتفاجأ -وهو عائد من مدرسته إلى البيت لاهياً بلعبته -بمجموعة من الجنود الصرب يجرون خلفه، ممّا سبّب له خوفاً وفزعاً كبيرين، انفطر منهما قلبه الصّغير. وبعد أن يصل محمد الطّفل المرعوب إلى البيت وقد خارت قواه، يندفع وراءه الجنود بكل وحشية وهمجية، ثمّ يقومون بقتل جميع أفراد عائلته من الجدة وبناتها، وقتل

الأب والأم بطريقة بشعة لا تعرف الرحمة. وقاموا بالجريمة نفسها مع جميع سكان القرية، لم ينج من المأساة والموت البشع إلا محمد وأخته الصغيرة (عائشة) وصديقه (عثمان). وبمشقة كبيرة يغادرون القرية ليجدوا جمهوراً من الناس ينتظرونهم. عند وصولهم يهول محمدا الطفل ما فعله الصربُ بمثدنة المسجد. ولما ذهب الإمام مرفوقاً بمجموعة من أهل البلدة لدفن جثث الشهداء يتفاجأ الجميع بعثورهم على مقبرة جماعية، ألقى فيها الصرب جثث قتلاهم من المسلمين، فلم يبق أمل لهؤلاء المجتمعين إلا الرحيل نحو ألبانيا البلد المسلم الفقير فراراً بأجسادهم وأرواحهم. لكن حلم العودة يبقى يداعبهم. وخاصة بعدما علموا بأن جيش تحرير البوسنة صعد إلى الجبال لمقاومة الصرب، واسترداد منهم الأرض المسلوقة. بعد دخول المسلمين البوسنيين أرض ألبانيا وتوفير لهم الخيام، تُوزع عليهم مساعدات من بعض الدول الأوروبية وأمريكا والصليب الأحمر.

سيمائية العنوان في حضور صورة الأنا والآخر.

يعدّ العنوان في منظور النقاد المعاصرين أول حوار مع النص، إذ يمثل العتبة الأولى التي تمكّن القارئ من الولوج إلى عوالم النص الدلالية وتشريح بنيته اللغوية التشكيلية، فهو بمثابة " نقطة مركزيّة، أو لحظة تأسيس بكر ، يتمّ منها العبور إلى النص "¹ للقبض على خيوط تشكّله الأولى، وما يتضمّنه من مكنونات وكنوز، حيث يستطيع القارئ من خلال العنوان أن يفعلها ويحييها، فيبوح له النصّ بأسراره التي تختفي في ظلال مسروداته. فالعنوان يمنح القارئ فرصة للبوح وتعريّة

¹ - بسام موسى قطوس. سيمياء العنوان. ط1. وزارة الثقافة. عمان، الأردن: 2001. ص37

الوقائع، فلا شيء منها يبقى خافياً "والعنوان، بما هو إشارة سيميائية تأسيسية قد تدفعك إلى أن تعيد قراءة شيء كان مألوفاً عندك بل هو جزء من ثقافتك ولكن يغريك بإعادة قراءته، وكأنه من العنوان يبدأ فعل القراءة، ومثل ذلك فعل التأويل"¹ الذي ينطلق أول ما ينطلق من تفكيك العنوان باعتباره شفرة النص ومكمن سره. كما تتأسس عليه عملية إعداد المتلقي للقيام بفعل مغامرة القراءة والتقصي والتأويل، وذلك بفضل الوظيفة السيميائية المحفزة التي يؤديها العنوان، والتي ستسمح لمستقبل النص برصد مساحة النص من زوايا مختلفة، وتحثه على استدعاء خبرات قرائية سابقة تمكنه من فهم النص واستيعابه.

استطاع الروائي عز الدين من خلال العنوان أن يمرر إلى المتلقي رسالة مشحونة بالوعي الهوياتي والإحساس بالانتماء الحضاري، والإدراك السليم لما جرى من أحداث ولا تزال تجري على ساحة الصراع الحضاري بين حضارة الإسلام والحضارة الغربية. إنها صورة لثنائية تمّ توليفها توليفاً عجائبيّاً، جمع فيه بين نقيضين لا يلتقيان أبداً ولا تجمعهما أية علاقة تشابه، بل هما ضدان وعالمان متعاكسان مثل الشرق والغرب. فالشرق شرق، والغرب غرب، الأول مصدر للإشراق وبثّ النور. والثاني مصدر للظلم والظلام الحالّك.

إنّ أول ما يستوقفنا عجائبيّته، فكيف تسمّى للروائي أن يجمع بين جنسين من الكائنات التي تختلف طبيعة وسلوكاً وهيئةً، أولهما (الفراشات) حيث تنتمي إلى العالم

1- المرجع السابق، ص 36

المرئي المحسوس، وهي مخلوقات جميلة تمثل عالما يشع بالرقّة والنور ورهافة الإحساس، ليس حبّ الأذية من شيمها وطباعها التي جُبلت عليها.

أمّا الجزء الثاني من العنوان ونقصه به (الغيلان) فالمعروف عنها أنّها تنتمي إلى العوالم المتخيّلة، فهي كائنات أسطورية أو عفاريت من الجنّ، لا تُرى بالعين المجردة، لكنّها في المتخيّل الثقافي العربيّ، كائنات مرعبة، قبيحة المنظر، عظيمة الأذية، أيقونة للرعب والخوف وإرهاب الآخرين.

يرمز جلاوي باللفظ الواصف (الفراشات) إلى شخصيّة الطفل محمّد (الأنا) وكلّ أطفال العالم الذين يمثلون عالم البراءة والحبّ "وفي الوقت الذي اندفع فيه صديقي عثمان إلى اللعب كرة القدم، امتطيتُ أنا -محمّد- صهوة الأرجوحة، ورحت أتأرجح ببطء إلى الأمام والخلف، أغني أغنية الوطن الجميلة، وأتخيّل الأطفال اللاعبين أمامي فراشات جميلة تدغدغ خدّ الأرض في براءة، وتحلم بشروق الشّمس"¹ فشخصيّة محمّد الطّفل البريء، تحمل دلالات ذات إحالات قصد بها الرّوائي الحضارة الإسلاميّة (الأنا) هذه الحضارة التي أهدت الإنسانيّة النّور والحبّ والإحياء الإنسانين وأهدت لها أيضا السّلام والتّسامح. أمّا ((الآخر)) أي الغيلان فيرمز إلى كلّ مواصفات الشرّ والكراهيّة والحقد والظّلم والتّكبر في الأرض بغير الحقّ. وهي أوصاف تنطبق على مدنيّة الغرب وتقوم به من سطو على ممتلكات الشّعوب المستضعفة وما تمارسه من تطهير عرقي في حقّها باسم التّحضّر والتّقدّم

¹ - الفراشات والغيلان. ص 58 الفراشات والغيلان. ص 62. الفراشات والغيلان. ص 81.

-عتبة كلمة الإهداء (3)

كلمة الإهداء من مداخل النصّ وعتباته الفاعلة، يمكن للكاتب أو الروائي أن يمرّر رسالة إلى القارئ يمهد بها لما يودّ أن يوصله إلى ذهن القارئ من أفكار وخواطر تسري في عروق النصّ بطريقة مباشرة أو رامزة تحتاج إلى تأويل.

يتبيّن لنا من خلال كلمة الإهداء أنّ عزالدين جلاوي صاحب رسالة يريدّها أن تكون أكثر وضوحاً ودقّة، لكنّه يكسوها حلاًّ من الجلال والبهاء وشعريّة من الجمال، لكي يتمكن من استقطاب القارئ واستغوائه، خدمة لمسرودات نصّه الأصلي.¹

إنّ رسالة الإهداء التي يردنا عزالدين أنّ ننصت إليها بقلوب واعية؛ هي أنّ لا شيء في هذه الدّنيا أبشع من أنّ يحتقر الإنسان أخاه الإنسان ويستغلّ ضعفه أبشع استغلال. وفي الجهة المقابلة لا شيء يعدل الثّورة في وجه همجيّة الإنسان الظّلوم المتوحّش. فالإهداء كلمة موجّهة إلى ذاتين مختلفتين جدّاً ذات (الآخر) الممتلئة عجباً وظلماً وطيشاً وذات (الأنا) ذات ثائرة تستحق التّحيّة والإكبار أينما كانت وحلّت فوق البسيطة. يقول جلاوي في كلمة الإهداء:²

"ما أحقر الإنسان يحتقر الإنسان"

1- جميل حمداوي. شعريّة النصّ الموازي، عتبات النصّ الأدبي. منشورات المعارف، دار نشر المعرفة، الرباط،

المغرب: 2014. ص. 14.

2- الفرّاشات والغيلان. ص. 5.

إلى كلّ الثائرين ضد همجية الإنسان

وإلى الأطفال المضطهدين في كل شبر من هذه الأرض.

-عتبة فاتحة الرواية

فاتحة الرواية أو الكلمات المفاتيح، هكذا أرادها الروائي العالمي، لتكون التأشيرة لفكّ شفرات النصّ العالمي. إنّه الصّراع والصّدام بين عالمين اثنين؛ العالم الأوّل عالم الحرية والنّور والتحرّر ورفض العبودية عبوديّة الإنسان للإنسان، ومتى استعبد الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا؟؟؟

التّخيل يؤلّ بأنّه (الأنا)، موطنه الشّرق، فهو شرقيّ الهوى، عربيّ الجنس والانتماء، وصوته عربيّ، وعزته عزة الإنسان العربيّ، وإن هُربتْ وسُلبتْ منه شمسُه، فستشرق من جهته مرة أخرى، فهي خُلقت للعربيّ، كما خُلقت للتّخيل. والتّخيل موطن الكرام يكره اللّثام من بني البشر (الآخر) لأنّه الطّهر. واللّثام أرجاس مناكيد... وما سرقه القراصنة وهربوه إلى بلاد الظّلم والطّغيان والظّلام والعهر، سينفلتُ من بين قبضتهم ويعود يوما ما إلى أهله منتصب القامة رافعا رايات العزّة والانتصار. وسيدحر الغرب غرب الشّر (الآخر) مغتال المثل الإنسانيّة ومقبر قيمها العليا.

يقول عز الدين في فاتحة الرواية:¹

أيتها الشّمس المهرّبة من عيون التّخيل.

¹ - الفراشات والغيلان ص: 7-8

من شرايين العراجين....

في حقائب القراصنة اللثام ..

إلى مدائن الضباب والظلام.....

ها قد عادت حمحمات الخيول...

في أرضنا المكابرة...

أرض الرجال السّمر...

أرض الكرام.....

فانتظرينا يا شمسنا...

نحرّرك من قيد الأفول...

من غرب الزنادقة الطّغام....

فلا إشراق لك إلا في عيون النّخيل...

في شرايين العراجين....

أفقنا الذي لا يُضام...

- حركيّة الشّخصيّات فضاءات الرّواية

تحتوي الرّواية على تسع مشاهد، يسرد الروائي من خلالها أحداثها التي تتمحور حول الشّخصيّة المركزيّة والنّمطيّة؛ شخصية محمد (الأنا) الفتي الذّكي، تسكن في روحه براءة الطّفولة، ومتجلّيّة في أقواله وأفعاله. ورغم حداثة سنّه، يتميّز محمّد - واختيار اسم محمّد هنا ليس عبثاً- بالشّجاعة والصّبر والمصابرة والإيمان العميق

بالمستقبل، لا تعرف روحه الاستسلام، ولا الخنوع، وظل يقاوم فلا يملّ ولا يكلّ
"-أجري أتعثر... أنهض أعدو... أتعثر..."

-تمش الحجارة زبدة ركبتني...

-نباح الجنود يلسع قلبي الصغير خوفا...

-أغمض عيني أو أكاد... تغرق مقلتي في نهر من الدموع...

-أقاوم ... أتحدى... أعدو بسرعة أشد...

-تستمر قهقهات الكلاب أصبح ملء فمي:

-ما.. م. ا .. ما .. م.ا...

-يضعزع الرعب أركان جسدي المتهاوية...

-تصطك ركبتاي...

-أشدّ لعبتي إلى صدري لن يخطفها الكلاب مني...

-لن يدسوا عليها بأقدامهم الغليظة... لن يأخذوها لأطفالهم.

-رعب يستولي على الجميع...

-لم أره في عيون أسرتي من قبل أبدا...

-أمي...¹

"ردّت أمي بصوت خافت:

¹ -الفراشات والغيلان. ص: 10/9.

- اسكت إنها الغيلان... الغيلان ستلتهمنا جميعا... فقط يجب أن تسكت، لكيلا تتفطّن إلينا...¹

وتأخذ مخيلة محمد في رسم صورة نمطية بشعة قائمة، مقزّزة، مرعبة- في ذاكرته الصّغيرة- لهؤلاء الجنود المتوحّشين (الغيلان) الذين لا يكادون يشبهون البشر، فرؤوسهم رؤوس كلاب، لهم مقاطع من حديد، وجثثهم جثث الخنازير.....
"- لقد صدقت أُمي ...

-لقد رأيتهم.... إنهم مزيج من بشر، وكلاب وخنازير،

-طوال عِراض يحملون قطعاً حديديةً تلمع...

-يلبسون أحذية ثقيلة...

-مخالبُ أيديهم طويلةٌ حادة...

-مناخرهم مدببة...

-آذانهم ممتدة إلى الأعلى أصواتهم نباح وتكشير"²

إنهم كائنات غريبة حقاً، يكادون لا يشبهون البشر في شيء، إنهم وحوش أليسوا هم الغيلان؟ التي كانت جدّتي تروي لي قصصهم المرعبة، وهكذا تصوّرهم عقل الصّبي

¹ - الفراشات والغيلان.ص11.

² - الفراشات والغيلان.ص11/12.

على أنهم فعلا وحوش تستولي على بيته، ملتهمة كل ما فيه من بشر وأثاث " التهمت الغيلان بمخاليها نصف الباب، وبدأت الزمجات تصل إلى آذاننا بوضوح" ¹ ينقذ الغيلان جنود الصرب الحاقدون (الآخر) جرائمهم الوحشية، فيقتلون جميع أفراد عائلة محمد: جدته وعمته وأباه وأمه، وينجو محمد بأعجوبة هو وأخته الصغيرة عائشة.

في مشهد آخر يرسم الروائي صورة في منتهى القتامة والبشاعة للآخر (حماة الحضارة) نلمس ذلك من خلال الحوار الذي دار بين محمد وصديقه عثمان، الذي يُخبر محمدا عن الجريمة النكراء التي ارتكبتها الغيلان في حق سكان قريته، وكيف ساقوا النساء والأطفال، ونزلوا فيهم تذيحا وخنقا وحرقا... ثم يخبره بما صنعوا بأخته الرضيعة ذات العام الواحد، حين عمد أحدهم، فحملها من سريرها، وضرب رأسها بخنجره، فأطاره، ثم حملها من رجلها، كما يحمل الصياد الأرنب. "ويسأل محمد عثمان:

- ماذا فعلوا بها. لكن عثمان ينفجر باكيا، فيحدث محمد نفسه قائلا:

"وفهمت ما يفعلون بها...وما سيفعلون بها؟ سيأكلونها طبعاً... هؤلاء الوحوش يأكلون لحوم البشر إذن؟ هؤلاء هم الغيلان التي كانت جدتي تحدثني عنهم دائما" ²

¹ - الفراشات والغيلان. ص 12.

² - الفراشات والغيلان. ص 20.

إنّ هذا الآخر لا يكتفي بأكل لحوم إخوانه من البشر تقتيلا وتعذيبا، بل يقوم بتشريد البقيّة النّاجيّة من بطشه بإخراجها من أرضها عدوانا وظلما. " لأنّ أعداءنا أرادوا قطعنا عن جذورنا... وإلا فالعقاب هو الموت والتشريد.... وماذا يساوي المرء حين عن جذوره تماما...؟"¹

ويرجع الروائي تارة أخرى ليتّم لنا رسم صورة (الأنا) المقهور على لسان خالة محمّد مخاطبة زوجها باكية:

"-اليوم بهذه الخطوة الصّغيرة ، وقّعنا صكّ موتنا وإلى الأبد...

-ماذا نُساوي دون أرضنا؟؟

--ماذا نُساوي دون حضننا الدّاغ؟؟

سنعيش أغرابا، ونموت أغرابا...

- تعسا لي يوم فرطت في أرضي و قريتي وبيتي...

- تعسا لي يوم فرطت في ذاكراتي..."²

¹ - الفراشات والغيلان. ص 50.

² - الفراشات والغيلان. ص: 57/58

ولكن تبقى هذه الأنا المقهورة يعمر قلبها نور الإيمان، وتبقى متمسكة بالأمل وفجره الجميل، يتجلى لنا ذلك من خلال المشهد الذي رسمه الروائي للشيخ الإمام وهو يصعد الرّبوّة، ثمّ سرعان ما يتّجه ببصره نحو الغرب، وقد اغرورقت عيناه بالدموع، فيمسحها، ثمّ يمدّ سبابته اليمنى نحو الغرب خلف الحدود قائلاً: محمّد عثمان... انظرا هناك... رأيتما تلك القمم الشّامخة التي تكسوها الثّلوج؟ ذلك وطننا،

الذي مازلنا، وسنبقى نحمله في قلوبنا أبدا...
بل هاجرنا لنعود...¹

في مشهد مثير يصوّر لنا من خلاله عزّالدين فطانة محمّد الصبي وذكائه ووعيّه بمصيره ومدى إدراكه لحقيقة العدوّ (الآخر)، وذلك عندما تقدّم زوج خالة محمد نحو الشيخ الإمام ليخبره أنّه مدعو لحضور اجتماع لمناقشة توجيهات جيش التحرير وتوزيع المساعدات الأمريكيّة والأوروبية والصّليب الأحمر....

يُعلق محمّد (الأنا) المدرك حقّ الإدراك لحقيقة الآخر ونواياه، مخاطباً نفسه والحزن والأسى يعتصران قلبه المفجوع: "ما معنى أن يطردنا من أرضنا ويشرّدنا في العراء ثم يلحق بنا هنا ليساعدنا، فيكون في الآن نفسه العدوّ والصّديق؟"²

¹ - الفراشات والغيلان. ص 62

² - الفراشات والغيلان. ص 64.

وفي مشهد آخر يصوّر مدى الرّعب والفرع الذين استبدوا بقلوب اللاجئين البوسنيين (الأنا) بسبب انتشار الإسهال والحمى بين أفراد مخيمات، يعلّق محمّد قائلًا "واشتدّ هول النّاس حين تبيّن أنّ الطّعام المقدّم إليهم معونات من الدّول الغربيّة ومن الصّليب الأحمر الدّولي (الآخر) هو الّذي سبّب هذا الإسهال"¹

خاتمة

بعد قراءتنا لرواية الفراشات والغيلان للأديب الجزائري عزالدين جلاوي، توصلنا إلى جملة من النتائج نذكر منها:

- رواية الفراشات والغيلان من الأدب الروائي الذي يسهم في صناعة الوعي الجماهيري والإحساس بالانتماء.

- يمكن أن نصنّف الرواية ضمن الآداب العالميّة، فهي تسرد مأساة شعب تعرّض للاضطهاد والتّشريد والتّهجير والتّطهير العرقي.

- تناولت الرواية موضوعا حدثيًا، تضمنت مشاهد من الصّراع الحضاري بين حضارة الإسلام وحضارة الغرب المتوحّشة.

- تصوّر لنا الرواية طبيعة نظرة الغرب إلى الإسلام والمسلمين، وهي نظرة تقوم على الكراهيّة، والحقّد، والعداء الشّديد

¹ الفراشات والغيلان. ص 64.

- تكشف مشاهد الرواية حقيقة الصراع الإسلامي الغربي، وتفضح مزاعم الغرب وما يدعيه من الحرية والعدالة والمساواة، واحترام المبادئ الإنسانية والدفاع عن حقوق الإنسان.

مصادر البحث ومراجعته:

- عزالدين جلاوي. الفراشات والغيلان. ط4. دار المنتهى للطباعة والنشر، الجزائر: 2015

- بسام موسى قطوس سيمياء العنوان ، ط 1 ، وزارة الثقافة ، عمان، الأردن: 2001
-جميل حمداوي. شعيرة النص الموازي عتبات النص الأدبي منشورات المعارف، دار نشر المعرفة، الرباط، المغرب: 2014.

- سوسن البياتي. النهضة الفكرية وأثرها في الصراع مع الآخر. مجلة آداب الفراهيدي، العدد3. (عدد خاص) جامعة تكريت، العراق: حزيران 2010